افتتاحيـــــــــــــة الملـــــــــــــف

أزمـــــــــة المصطلـــــــــح النفســـــــــي العربـــــــــي

د. مصطفـــــــى شقيـــــــــــــب – علـــــــم النفـــــــس، المغـــــــرب

chaqib@yahoo.fr

الزملاء والزميلات: تحية طيبة وبعد

الفكر الإنساني هو ثرات مشترك بين مختلف حضارات العالم،لا تقف اللغات حاجزا دون نقله من ثقافة إلى أخرى،وذلك عبر عملية الترجمة التي هي في الحقيقة غالبا أحادية الجانب، من الحضارة المتفوقة إلى الحضارة المستقبلة.وفي هذا ما فيه من تأثير الفكر المصدر على الفكر الهدف، أو بتر أو تشويه له.كل هذا تبعا لماهية الترجمة التي تعتمدها الثقافات أصلا لحماية هويتها.

لأن الترجمة ليست مجرد استبدال كلمات أو ألفاظ بأخرى، أو نقل معارف من ثقافة إلى أخرى، **الترجمة عملية تفاعلية ومشوبة بآثار وبيئات الثقافة المنتجة للفكر**، وبالتالي تأثيرها قد يمس خصائص الثقافة المنقول إليها.

ونحن العرب كنا في تفاعل دائم مع مسألة الترجمة،سواء كمتلقين في بداية الفتح الإسلامي والانفتاح على مختلف علوم العالم آنذاك،وذلك إبان العصر العباسي والنهضة العلمية الرائدة.ومن ثم مزودين للعلوم الإنسانية المختلفة بما فيها علم اللغة وفروعه الذي استفاد منه العلماء إلى يومنا هذا وفي مقدمتهم تشو مسكي في مواضيع التوليد والاشتقاق.

لكن الحضارات تبدلت من حال إلى حال،وعرف التاريخ قفزة كبرى في العلوم الطبيعية والإنسانية شابت حتى بنيتها وتركيباتها، التي أصبحت تعتمد الرموز والعلامات واختزال المفاهيم العلمية وتنظيمها ضمن مصطلحات علمية دقيقة، تجرف معها كل لغة عاجزة عن تطوير ذاتها ومسايرة التطور العلمي.ولغتنا العربية أثبتت بكل تأكيد قدرتها على المسايرة وترجمتها للمصطلحات، وان كانت هذه الترجمة لا تتعدى كونها تحصيلية ربما نوعا ما توصيلية ولا ترقى إلى مستوى **التأصيلية** ، كما صرح بذلك الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمان.

والمصطلحات طبعا هي للغة بمثابة القطع والأجزاء للكل،بل **إن اللغة المتطورة تعتمد اختزال المفاهيم ضمن مصطلحات محددة**،وأي خلل في هذه العملية يؤدي بدوره إلى خلل في عملية التلقي وتحصيل العلوم،وبالتالي عرقلة عملية التطور العلمي والإنتاج المعرفي. وهذا ما تشهده ساحتنا المعرفية العربية حيث تعيش المصطلحات العلمية أزمة بما فيها العلوم الصحية وبالأخص منها العلوم النفسية التي هي فرع معرفي يلج رويدا رويدا جامعاتنا وأوساطنا الأكاديمية تبعا لما نترجمه ولا ننتجه طبعا..

تتمثل هذه الأزمة أولا وعموما فيما تعرفه القضية العلمية في بلادنا من **إهمال لقضية المعرفة والثقافة على حساب الأمن والاقتصاد**، وان كانت المراهنة على المعارف رابحة على جميع الأصعدة عكس ما يتوقع.

وهكذا يصيب عملية الترجمة العلمية والمصطلحية ما يصيبها من إهمال وتباطؤ غير سليم.

ثاني هذه المشاكل مرتبطة بالأزمة الحضارية المتمثلة في **الانقسام بين أبناء الأمة الواحدة بكوناتها الوحدوية التلقائية**،حيث يسود الانقسام وتبعثر الجهود بين مختلف الهيئات العربية،فيظهر مصطلح في المغرب وآخر في المشرق وأحيانا عدد منها في البلد الواحد.بل يعتمد الأمر على جهود فردية واجتهادات شخصية لإيجاد كلمة عربية جديدة وإدخالها المجال الأكاديمي العلمي العربي، باختصار تشتت للمصطلحات مع الفقر المدقع الذي تشكو منه.

هذا لا يعني نفي جهود مؤسسات وهيئات اللغة والتعريب، على رأسها **مكتب تنسيق التعريب بالمغرب، جامع القاهرة ودمشق...والشبكة العربية لتعريب العلوم الصحية** - أحسن- لكن الحال يفصح عن المآل، أين نحن من التنسيق الحقيقي وشيوع المصطلح الواحد واعتماده في مختلف المنابر العلمية؟

مشاكل أخرى مرتبطة بتحدي العلوم واللغة العربية لهذا السيل الجارف لفيض العلوم الغربية وإنتاجها الهائل، آلاف المصطلحات تطرح كل سنة-20 كل يوم-، أين نحن من المسايرة والمضاهاة حتى في نقل المصطلحات؟

ترجمة الكتب أسوأ بكثير،قد لا يظهر الكتاب عندنا إلا بعد سنوات من صدوره أو عقود كما حدث لبعض المراجع اللسانية ل لوفوفير وتشومسكي؛بينما في فرنسا يتزامن صدور الكتاب الهام في نسخته الفرنسية مع النسخة الأصلية -الانجليزية طبعا-.

فيما أن إشكالية المصطلح لها وجه ذاتي مرتبط بخاصية علم المصطلحية أو اللسانيات،حيث أن هذا العلم يمكن إن نطلق عيه "علم العلوم"تتداخل فيه سبعة علوم بدءا من علم المفهوم، وعلم اللغة، وعلم العلامات "السيميائيات"، وعلم الترجمة، وعلم الحاسوب، وعلم التوثيق، وصناعة المعجم.

مراجعه معدودة كما أجاب بذلك احد شيوخ المصطلحية الدكتور علي القاسمي،الذي له قصة مع ضخامة هذا العلم،إذ قرأت انه لما طلب منه رئيس المجلس الأعلى للثقافة آنذاك- جابر منصور تأليف مرجع في الموضوع، فألف الكتاب الضخم للسنة-2008-مستغرقا خمس سنوات بالكامل،حيث استفاد من سنوات خبرته الطويلة في الجامعات الأوروبية والأمريكية وحضوره للمؤتمرات المنعقدة في تلك البلدان.ولكن جوابه الأول كان أن حتى المراجع في هذا المجال معدودة تعد على أصابع اليد و الذي نعرض لحوار معه من هذا الملف الذي جاء متضمننا أبحاثا أصيلة من الموضوع لأبرز المفكرين النفسيين العرب من ذلك أن البروفسور يحيى الرخاوي يشاركنا بدراسة عن اللغة العربية وتشكيل الوعي القومي، إضافة إلى أبحاث كل من الزملاء رجاء بن سلامة، سليمان جار الله، محمد الصغير شرفي، تناولت التّرجمات العربيّة للمصطلحات الفرويديّة: شجرة تكشف الغاب ، تكييف قائمة زمباردو لمنظور الزمن للغة العربية.

نأمل أن يحضى هذا الملف بالإهتمام و أن يلقى منكم ما يثريه مستقبلا حتى تأخذ العربية المكانة التي هي أهل لها كأحد أبرز لغات علوم هذا العصر ...و ما ذلك بعزيز لو توفرت العزيمة الصالحة و العمل الدؤوب.